المونسنيور داوُد رمو
(1948-1872)

سكرتير البطريرك مار يوسف عمانوئيل الثاني
(1947-1852)

بهنام سليم حبابه

مقدّمة

إقترن اسم (القس داوُد رمو) بأبيه الروحي استاذه البطريرك مار عمانوئيل الثاني مدة تزيد على نصف قرن، فقد كان تلميذه في المدرسة ثم اختاره كتومًا لأسراره وسكرتيرًا للبطريركية مدة تقرب من نصف قرن (1900-1947) هي مدة رئاسة البطريرك المذكور[1].

إعتاد رمو ان يكتب مذكراته وخواطره وقد أصبحت تلك الخواطر كتابًا مخطوطًا قائمًا برأسه بلغ عدد صفحاته (177) صحيفة من القطع الكبير (فولسكاب) بخط رمو نفسه. وانتشرت هذه الخواطر لدى بعض الباحثين بعد وفاة المونسنيور داوُد رمو التي حلت في 1948/12/31، كانت المخطوطة لدى أحد أولاد أخيه، قام البعض باستنساخ نسخ منها والبعض الآخر بتصويرها : ومن أولئك الباحثين

(1) البطريرك عمانوئيل الثاني من مواليد القوش 1852 - تلميذ الآباء اليسوعيين في بيروت، رسامته الكهنوتية 1879، مطران سعرد في تركيا (1892-1900)، بطريرك الكلدان (1900-1947) صاحب مبرات كثيرة، - عضو مجلس الأعيان العراقي في العهد الملكي.

المؤرخ القس د. بطرس حداد (المتوفى بتاريخ 2010/11/26 الذي قام بتحقيق تلك الخواطر ونشرها بكتاب ضخم (456) صحيفة وهي من منشورات مركز جبرائيل دنبو الثقافي (مع الذيول والملاحق).

المذكرات

يبدأ (داوُد رمو) الصحيفة الأولى من خواطره بقوله : (إذ كنت قريبًا من كل شيء بحسب ترتيبه رأيت أن أكتب لك أيها الشعب العزيز الكلداني حياة غبطة السيد الجليل مار يوسف عمانوئيل بطريرك بابل الكلي الطوبى لتعرف حقيقة الأمور التي جرت في زمانه).

تلك كانت كلمته الإفتتاحية على شبه ما ورد في مفتتح إنجيل لوقا، تلي ذلك كلمته عن حياته وخواطره، وسوف أختصر كل ذلك في هذه المقالة واضعًا ما كتبه (رمو) بين هلالين، وما سوى ذلك من الحواشي وما بين شارحتين فهو لي.

حداثة رمو ودراسته

يبدأ رمو خواطره بقوله (ولدتُ في الموصل يوم الخميس 1872/10/24 ليلة عيد الشهيد مار بثيون واعتمذت وثبتُ بيد القس يوسف بن هرمز يقيم في بيعة مسكنتا ودعيتُ في العماذ (داوُد – بثيون) ابن ايرميا سمعان رمو، ولولو بنت مقدسي الّوس بحو رسام – وهي عمة الخوري أفرام رسام –.

ثم يأخذ بسرد مراحل حياته : (نشأتُ في الموصل مسقط رأسي وكان لي ثلاثة أخوة : يوسف وفتوحي ونعيم وثلاث أخوات. ولما بلغتُ السنة الخامسة تنغّصت حياتنا بفقد والدنا المرحوم ايرميا وبقيت لنا والدتنا الحنونة... فأرسلتنا إلى المدرسة وكنتُ أنا في الآزيل – الروضة – العائدة لحضرة الآباء الدومنيكان تحت إدارة راهبات التقدمة[2].

ثم يبدأ قصة حياته في المدرسة (مكثت هناك زهاء سنتين ونصف تعلمت فيها الصلوات والألحان ومبادئ القراءة) ويذكر اسم راهبة فرنسية (تدعى سبيرانس أذكر

(2) راهبات التقدمة الفرنسيات في الموصل (1872–1942) فرع من الأسرة الدومنيكية، خدمن في الموصل خدمات صحية وتربوية واجتماعية عديدة. انتقلن إلى بغداد للخدمة 1942، لهن مدارس ومستشفى الراهبات.

انها علّمتني غيبًا بعض فصول فرنسية قرأتها أمام محفل دُعي إليه أحدُ أشراف فرنسا فاستحسن نطقي مع صغر سنّي فأهداني ثلاث ليرات). ثم نقلوني بعد ذلك إلى المدرسة الابتدائية وكان المعلم جرجس ريحاني... ويتابعُ كاتبًا (على ذلك الزمان صار الغلاء المدعو غلاء الليرة - سنة الليرة (1879-1880) - وكان عمري وقتئذ سبع سنوات فكنتُ أفهم حسنًا عسرَ المعيشة... وأخيرًا إلتزمتْ والدتنا أن تبيعَ داراً في محلة المنصورية فتحولنا في بيت جدتنا مرتا بنت مقدسي بحو الغسّام = الرسام - ص10 من الخواطر -.

ويواصل أخبار دراسته فيقول : (ثم آثرت الخروج من مدرسة الآباء والدخول في المدرسة الكلدانية رغبةً في تعلّم الطقس الكلداني وكان مدير المدرسة على ذلك الزمان حضرة الأب الفاضل القس يوسف توما - وهو البطريرك مار عمانوئيل في ما بعد - فأتى بي حضرته إلى المعلم داوُد بن جرجس نقاشي وأوصاه عليّ... ثم نقلني حضرة الرئيس إلى الصف الأعلى وكان المعلم سليمان بن بطرس موسى الصباغ[3] فباشر يعلّمنا اللغة الفرنساوية ويشرح لنا التعليم المسيحي).

ثم يذكر وصول الطغراء إلى الموصل (فكان ذلك اليوم يوم فرح وسرور إرتجت له المدينة)[4].

بعد هذا يعقد (داوُد رمو) فصلاً في ترجمة حياة القس يوسف توما. ثم يعود إلى الكلام على نفسه فيقول : (مكثتُ في المدرسة... ثم انتخبوني معلمًا لمدرسة خورنة مار ايشعيا[5] وكان عمري يومئذٍ 18 سنة تقريبًا فدخلت المدرسة بصفة معلم - 1890/6/1 - بمعاش خمسينِ غرش شهريًا. كانت الدنيا رخصًا عظيمًا... وفي نهاية خريف سنة 1893 مرضتُ مرضًا ثقيلاً بحمّى التيفوئيد فأحضروا لي المشحة الأخيرة لكنّ الله برحمته شفاني من المرض).

---

(3) سليمان صباغ هو في ما بعد مطران دياربكر (1897-1923).

(4) الطغراء - لوحة عليها توقيع السلطان العثماني مذهّبًا (أنظر مقالنا في مجلة " بين النهرين " العدد 64/63 السنة 1988 ص262.

(5) كنيسة مار ايشعيا - أقدم كنائس الموصل (القرن 6) لا تزال ماثلة إلى اليوم.

التلميذ الاكليريكي

يقول رمو (كنت افكر في ما عسى أن يكون مستقبلي... وكنت أشغل نفسي وأقضي أوقات الفراغ بالمطالعة ونسخ الكتب لنفسي مما كنت استحسنه... وذات يوم استدعاني سيادة النائب المطران يوسف خياط[6] وعرض عليّ أمر الدخول في المدرسة الاكليريكية... ذهبت برفقة الخواجا سليمان بولس إلى دهوك ونزلنا ضيوفاً عند القس يوسف الرهوني ورأيت من هذا الكاهن الورع من الخلال الحسنة والتقوى ما حرّك في قلبي الاقتداء به)... ويتابع حديثه (وبعد التفكير الطويل قررّت الدخول في المدرسة الاكليريكية 1897/9/12 وكان مدير المدرسة القس يوسف رفو[7] فانتظمت في الصف الذي يبدأ بدرس الفلسفة وكنّا خمسة)، ولا يذكر أسماء رفاقه.

شروط الكهنوت

ويكتب رمو (وردت رسالة من السيد البطريرك – مار عبديشوع خياط – فيها شروط تلزم التلاميذ أن يتقيدوا بها تحت القسَم أن ينقطع التلميذ عن شرب الدخان والمسكرات طول حياته، وأن يوقف عند موته كل كتبه إلى المدرسة الاكليريكية وأن يوقف ثلث ما يملك إلى المدرسة التي قامت بتربيته وتعليمه. وأعطونا مهلة لكي نفكر ونشاور أنفسنا فجاوبتُ أنا بالايجاب، أما الباقون فآثروا الانفصال وذهبوا إلى بيوتهم)... وكنت اواصل تكميل دروس اللاهوت عند القس بطرس نصري – في الاكليريكية – وأذهب إلى مار ايشعيا لأتعلم اللغة الكلدانية والقوانين عند القس بطرس بحو فأتقنت الفرائض بالكتابة وصرتُ اعلّمها في المدرسة الاكليريكية للتلاميذ رفقتي[8]. (وفي 4 حزيران ارتسمت شماسًا انجيليًا وحدي في كنيسة مسكنتا من يد سيادة النائب نفسه بعد ان حلفت أمامه بتكميل الشروط المذكورة).

رسامته الكهنوتية

(وفي 15 آب من السنة المذكورة رقّاني سيادته إلى درجة الكهنوت ثم سلّم لي ورقة شهادة الرسامة... وبقيت على الاشتغال بالكتابة في القلاية البطريركية وعلى

---

(6) المطران يوسف ايليا خياط البغدادي (1894–1903) نائب البطريرك ثم مطران كركوك.

(7) القس يوسف رفو (البوعا) بزوعي. تلميذ معهد مار يوحنا الحبيب. كهنوته 1896. ت 1944.

(8) القس بطرس نصري – مؤرخ معروف صاحب كتاب (ذخيرة الأذهان) تلميذ روما. ت 1917. والقس بطرس بحو كاهن كنيسة مار ايشعيا الفاضل، ت 1916.

النظارة في الاكليريكية تحت إدارة سيادة النائب المطران يوسف خياط المشار إليه إلى يوم ارتقاء مار عمانوئيل مطران أبرشية سعرد الكرسي البطريركي فنقلني عنده بصفة كاتم أسراره الخصوصي).

بعد ذلك يصف القس داوُد رمو انتخاب ورسامة البطريرك يوسف عمانوئيل وتأخر صدور الارادة السلطانية من استانبول وعدم منحه النيشان والزمان[9].

رمو كاتم الأسرار 47 سنة

كان البطريرك الجديد يوسف عمانوئيل إداريًا بعيد النظر، قوي الشخصية، حسن التصرّف، فكان اختياره للقس رمو كاتمًا للأسرار ومرافقًا دائمًا اختيارًا ناجحًا لعدة أسباب، منها ان رمو كان تلميذ مار عمانوئيل في مدرسة شمعون الصفا، فقد تربّى على يده. ثم ان الكرسي البطريركي يومذاك في الموصل فاختياره لسكرتير موصلي مسألة لها دلالتها لدى أهل الموصل الكلدان قبل مائة سنة !! هذا بالإضافة إلى صفات رمو الشخصية فهو كتومٌ وهادئ الطبع يفضّل البقاء في الظل ولا يسعى إلى المناصب فانه طوال تلك السنين لم يرتقِ إلى رتبة الخوري !! انما بعد عشرين سنة في خدمة البطريرك منحه البابا بندكتوس 15 رتبة حاجب في البلاط البابوي.

وهذه الرتبة لها امتيازاتها في الكنيسة لكنها لم تُغرِ داوُد رمو، فهو لم يستعمل من تلك الامتيازات إلا شريطًا أحمر على ردائه الكهنوتي !

هكذا ظل يخدم سيده بإخلاص في الدار البطريركية وفي أسفاره الخمسة إلى اوروبا والعديدة إلى بغداد والبصرة، فضلاً عن الزيارات المتوالية للقرى الشمالية... كان رمو دومًا الرفيق بل الخادم الأمين لسيده إلى أن فارقه هذا إلى دار البقاء قبل

(9) النيشان هو الوسام الرفيع الذي يُمنح لأصحاب المقامات العليا. والزمان = الارادة السلطانية الملكية.

ظهر الاثنين 1947/7/21. ولم يلبث داوُد رمو أن لحقَ بسيده إلى القبر المجاور في مسكنتا بتاريخ 1948/12/31 فكأنه لم يقوَ على فراقه !! رحمهما الله.

هذا ويطول البحث لو أدرجتُ كل ما كتبه رمو مؤرخًا تلك السنين الطويلة بحلوها ومرّها عن أخبار دينية واجتماعية وسياسية، فضلاً عن الطائفية، لذا أحيل القارئ الكريم إلى مطالعة كتاب (الخواطر). وأقصر الكتابة هنا على ذكريات وتعليقات (داوُد رمو) في أسفاره صحبة سيده وأختمها بإدراج وصيته الأخيرة... فإلى العدد القادم.